خليل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

للأستاذ جليل

وصف الفرزدق و « الفرزدق واسع المخيلة ، حسن الملاحظة ، جيد القصص ؛ وهذه المزايا أهم عناصر الوصف فى الشاعر ، وهو أميل إلى الأسلوب القصصى فى الوصف . ولو توسع فيما كان يتناوله من المعانى على سبيل التشبيه أو التمثيل أو الإشارة ، لو توسع أو خصص ، لخلف للأدب العربى صوراً من أروع الصور الشعرية »

ذلك مما قال الأستاذ فى الشعر الوصفى الفرزدق ، وقد روى له فى هذا الباب أشياء محكمة ، وأشار إلى غيرها ذاكراً أماكنها فى الديوان . ومما رَوى له قوله فى سفينة :

وراحلةٍ قد عودونى ركوبها ... وما كنت ركاباً لها حين تُرحل
قواعُها أيدى الرجال إذا انتحت ... وتَحمل من فيها قعوداً وتُحمل
إذا ما تلقّاها الأواذىّ شقها ... لها جؤجؤ لا يستريح وكلكل
إذا رفعوا فيها الشراع كأنها ... قَلوص نعام أو ظليم شردل[1]

وقوله فى أسد :

وردُ السراة ترى سوداً ملاغمه ... مجاهر القرن لا يكبتن بالخمر[2]
كأن عينيه والظلماء مسدفة ... على فريسته نارانِ فى حجر
كأن عطارة باتت تَعلّ له ... بالزعفران ذراعى مخدر هصر[3]

(١) القلوص : الشابة من الابل ، وفى الأساس « من المجاز : رأيت ظليا وقلوصه وهى أتاه » . والقلوص بفتح القاف كما ضبط الأستاذ المردمى لا بالضم كما جاء فى طبعة الصاوى . الشمردل : القوى الفتى الجلد (اللسان)

(٢) الملاغم : ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه (اللسان) . وفى الأساس : تلغمت المرأة بالطيب جعلته على ملاغمها .

(٣) تعل — بكسر العين وضمها — : تصبغ (هصر) بفتح فكسر ، وضم ففتح . هصر الفريسة يهصرها هصراً إذا كسرها ، وأمالها إليه (مخدر) : المخدر الأسد الذي قد اتخذ الأجمة خدرا مثل المخدرات فى الزمان الأول . . .

وقوله فى شجّة يهدد بها جريراً — روى الأستاذ منه تسعة أبيات — :

بعيدة أطراف الصدوع كأنها ... ركيّة لقمان الشبيهة بالدَّحل[1] ... !
إذا نظر الآسون فيها تقلبت ... حماليقهم من هول أنيابها الثُّعل[2] !
إذا ما رأتها الشمس ظل طبيبها ... كمن مات تحت الليل مختلس العقل !
يود لك الأدنون لو مت قبلها ... يرون بها شراً عليك من القتل !

وقوله فى الشيب :

تفاريق شيب فى السواد لوامع ... وما خير ليل ليس فيه نجوم ؟

وأبياته فى الذئب مشهورة مستأسدة .

* * *

تغزل الفرزدق و « غزل الفرزدق على ما فيه من جفاء أصدق ما قال من الشعر . فهو الذى يكشف عن طبع الفرزدق الجافى ونفسه الماجنة الشرهة إلى اللذة . وهو غزل شهوانى غير عفيف فيه فجور ومجون ، وعاطفة الفرزدق فيه خشنة . وله غزل يقص فيه حوادثه الغرامية ، وقد يصف الحوار الذى يدور بين أشخاص تلك الحوادث ، ولا سيما النساء ؛ وقصصه الغزلى أشبه بالقصص المروى لامرئ القيس » .

وقد أورد الأستاذ أمثلة كثيرة من أقوال الفرزدق تبين أسلوبه فى غزله — من ذلك خمسة وعشرون بيتاً — من القصيدة التى مطلعها :

ألا من لشوق أنت الليل ذاكره ... وإنسان عين ما يغمض عائره ؟!

والختام فيما أورده (الكتاب) هو :

فيارب ، إن تغفر لنا ليلة النقا ... فكل ذنوبى أنت (يارب) غافره

ومما روى الأستاذ :

يا أخت ناجية بن سامة ، إننى ... أخشى عليك بنىّ إن طلبوادمى

(١) ركية لقمان : بئر لقمان بن عاد بين البحرين واليمامة . الدحل : نقب ضيق فمه ، ثم يتسع حتى يمشى فيه ، وربما أنبت السدر (اللسان)

(٢) ث ل : اختلفت منابت أسنانه وتراكب بعضها على بعض (المصباح) الآسون : الأطباء

لو كنت فى كبد السماء لحاولت كفاى مطلّعاً إليك بسلم
هل تذكرين إذ الركاب مناخة برحالها لرواح أهل الموسم ؟
إذ نحن نخبر بالحواجب بيننا ما فى النفوس ونحن لم نتكلم
ولقد رأيتك فى المنام فحييتنى ولثمت من شفتيك أطيب ملثم !

منع الحياةَ من الرجال وطيبها حدقٌ تقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا حدق النساء لنبلها أغراض !

وفى (ديوان المعانى) فى (ما قيل فى شعبان وشهر رمضان وشوال) : فمنه قول الفرزدق وأجاد فى ذلك :

إذا مامضى عشرون يوماً تحركت أراجيف بالشهر الذى أنا صائمه
وطارت رقاع بالمواعيد بيننا لكى يلتقى مظلوم قوم وظالمه
فإن شال شوال تُشل فى أكفنا كؤوس تعادى العقل حين تساله

ومعانى هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وإذا لم تكن هذه الأبيات لمن نسبت إليه فمن قائلها ؟

وروى البحترى له أبياتاً فى الشيب والشباب فى حماسته منها :

فلم أر كالشباب متاع دنيا ولم أر مثل جدته ثيابا !
ولو أن الشباب يذاب يوماً به حجر من الجبلين ذابا !

* * *

قال الفرزدق فى الأدب والحكمة و « للفرزدق فى الأدب والحكمة مقدار من الأبيات يشتمل بعضها على رأى صحيح أو حكمة حسنة ، أو قول يتمثل به ، وهذا الضرب يمثل الروح العربية فى أدبها وحكمتها » .

وروى الأستاذ للفرزدق جميع الأبيات الآتية :

لا يعجبنك دنيا أنت تاركها كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا
يفنى أخوك ، فلا تلقى له خلفاً والمال بعد ذهاب المال يكتسب

ألم تعلموا يا آل طوعة أننا يهيج جليلات الأمور دقيقها

فوارس تأتينى وتحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

والإناء فى طبعات الأغانى والكامل ، وطبقات الشعراء للجمحى ، والإيجاز والإعجاز للثعالبى . ورواية (الأتىّ)[1] أقرب إلى الفرزدقية :

فكان كمنز السوء قامت بظلفها إلى مدية وسط التراب تثيرها[1]
وكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

من هنا أخذ صاحب (اللزوميات) القائل :

وافعلْ بغيرك ما تهواه يفعله وأسمع الناسَ ما تختار مُسمعه
وأكثرُ الأنس مثل الذئب تصحبه إذا تبيّن منك الضعفَ أطعمه

وبيت الفرزدق من شواهد الصحاح واللسان والتاج وغيرها .

وفى اللسان : « تقول هذا رجل سَوء بالإضافة ، وتدخل عليه الألف واللام فتقول : هذا رجل السوء . قال الفرزدق[2] ... »

فقد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى
كثيراً ، ولكن لا تلاقى الخلائق

هذا البيت فى ثلاثة أبيات ذكر البغدادى منها اثنين : « قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ؛ وذلك كما قال صديق مولانا القريب ، وابن عمته النسيب الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له : إنزل على أبى قطن قبيصة فحسبه ابن مخارق الهلالى ، فإذا هو آخر ، وذم قراه وجواره فقال :

سرت ما سرت من ليلها ثم وافقت أبا قطن ليس الذى لمخارق

وقد تلتقى ... و (تلاقى) إما فعل حذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، وفى البيت — والحالة هذه — إكفاء أو إقواء ، وإما مصدر سكنت اليـاء فيه ضرورة ، وفى (شرح النهج) لابن أبى الحديد : « ولكن ميزوا فى الخلائق » . ورواية الأستاذ المردى والبغدادى أصح .

وروى الأستاذ لأبى فراس من مقلداته :

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جناً إذا ما نجهل !

---

(١) الأصمعى : كل جدول ماء أتى (اللسان)

(١) فى شرح القريشى : كالمعز تبحث عن المدية . هذا مثل للعرب وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها ، فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها فاستخرجت منها شفرة . فذبحوها بها وقالوا : بحثت عن حتفها بظلفها ، فـارت مثلاً . وقال الشاعر : وكانت كمنز السوء . . .

(٢) ولا يقال : هذا رجل السوء أو رجل سوء بالضم لأن السوء اسم الضر وسوء الحال ، وإنما يضاف إلى المصدر الذى هو فعله كما يقال رجل الضرب والطعن . فيقوم مقام قولك ضراب وطعان (اللسان)

قال الآمدى فى (الموازنة) — وإنى لأنقل قوله على ما يبننا من خصومة قديمة ... — : « أنكر أبو العباس قول أبى تمام :

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت فى أنه برد

وقال : هذا الذى أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت . والخطأ فى هذا ظاهر ، لأنى ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة ، وإنما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والرزانة ، كما قال الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا[1]

وكما قال الفرزدق : أحلامنا ... ومثل هذا كثير فى أشعارهم. ألا ترى أنهم إذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خف حلمه .

ونسب أبو تمام فى الحماسة إلى الفرزدق هذين البيتين :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وهما للعلاء بن قرظة خال الفرزدق : « قيل للفرزدق مالك وللشعر فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعصعة شاعراً . فمن أين لك هذا ؟ قال : من قبل خالى . قيل : أى أخوالك ؟ قال : خالى العلاء بن قرظة الذى يقول : « إذا ما الدهر ... ؟ »

وفى (ديوان الحماسة) فى باب الحماسة مقطوعة — ثمانية أبيات — للفرزدق ، واختير له فى باب المديح والأضياف : ستة أبيات جيدات . يقول فيها واصفاً قِدره التى بعث بها إلى ضيفه :

غضوباً كحيزوم النعامة أحمدت بأجواز خشب زال عنها هشيمها[2]

وروى الأستاذ المردى للفرزدق هذا البيت :

أترجو ربيع أن تجئ صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها

ونسبه أبو تمام فى الحماسة إلى شعيب بن عبد الله ، والبيت من مقلدات الفرزدق .

وروى أبو تمام فى باب الهجاء لفرعان بن الأعرف فى ابنه منازل مقطوعة ، فيها هذان البيتان :

وربيته حتى إذا ما تركته أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
أنأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت يداك يدا ليث فإنك ضاربه

والبيت الثانى للفرزدق فى مقطوعة فى ابنه لبطة ، وكان من العقة (واستغنى عن المسح شاربه) من بيت فى المقطوعة . قالوا : كان فرعان من اللصوص ، فهل سرق المقال سرقته المال أو لص[1] الفرزدق اللص[2] ...

ولم يرو أبو تمام فى الحماسة للأخطل شيئاً ، وروى لجرير ثلاثة أبيات فى رثاء ابنه سوارة ، ولا يدل ذلك على أن ليس جرير جريراً ولا الأخطلُ الأخطلَ

يقول الأستاذ : « وللفرزدق ضرب آخر ، فيه زهد ونسك وتوبة ووعظ وإقرار بالذنب وزجر للنفس ؛ وهذا الضرب يمثل الروح المتأثرة بالدين ، وهو فى كلا الضربين — فى هذا وفى شعره فى الأدب والحكمة — يمثل الشاعر الإسلامى فى عصر بنى أمية عصر المروءة المتأثرة بالإسلام ، من ذلك قوله :

ألا كل شىء فى يد الله بالغ له أجل عن يومه لا يحوّل
وإن الذى يغتر بالله ضائع ولكن سينجى الله من يتوكل
تبين ما يخفى على الناس عينه لبالٍ وأيامٌ على الناس دوّل
يبين لك الشىء الذى أنت جاهل بذلك علام به حين تسأل

وروى الأستاذ لأبى فراس أربعة عشراً بيتاً من قصيدته

---

(١) يقول الثعالبى فى (الايجاز والاعجاز) : الأخطل أمير شعره قوله : شمس ... وفى الأغانى : قيل لأبى العباس أمير المؤمنين : إن رجلا شاعراً قد مدحك فتسمع شعره . قال : وما عسى أن يقول فى بعد قول ابن النصرانية فى بنى أمية : شمس العداوة ...

(٢) جمل غليانها غضباً لها ، حيزومها : صدرها . إحماش النار : إلهابها (التبريزى) ، وفى الأساس : « وضع به — بالبيت — ميسرة فقال : وما حيزوم النعامة ؟ والله ما يشبع الفرزدق . ولكنى أقول : وقدر كجوف الفيل أحشت غليها ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل ...

٢٦ ، ١٣

(١) أو لص ، ولك أن تقول أم لص ، على كلامين كما قال سيبويه . وقال ابن هشام فى شرح الشذور : « ولا يجوز بناء شىء منها — من فعال — من نحو الخصوصية لأنها لا فعل لها » ، والصحيح أن لها فعلا

(٢) مثلث

التي أعلن فيها توبته وهجا إبليس ، منها قوله :

وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغي رضاه ولا يغتادني بزمام[1]

سأجزيك من سوءات ما كنت سقتني

إليه جروحاً فيك ذات كِلام !

تعيرها في النار والنار تلتقي عليك بزقوم لها وضرام !

وقد اغتبط أبو فراس بهذا الهجاء فغدا إلى الأمام الحسن البصري فقال له : إني هجوت إبليس فاسمع . قال : لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس : إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس ...

قال : اسكت ، فإنك بلسانه تنطق ...

قال الأستاذ : « وللفرزدق ممن لا تدخل تحت باب من هذه الأبواب ولكنها ذات بال لأنها تلقي نوراً على حياة الفرزدق الخاصة وحياة محيطه » وأشار إلى أشياء من هذه المعاني وروى أبياتاً للفرزدق يشكو فيها إلى الوليد بن عبد الملك جور عامل ، منها قوله :

أمير المؤمنين وأنت تشفي بعدل يديك أدواء الصدور !

فكيف بعامل يسعى علينا يكلفنا الدراهم في البدور !

وأني بالدراهم وهي منا كرافع راحتيه إلى المبور[1] !

فلو سمع الخليفة صوت داع ينادي الله هل لي من مجير !

وأصوات النساء مقرنات وصبيان لهن على الحجور !

إذن لأجابهن لسان داع لدين الله منضاب نصور !

(يتبع — الأسكندرية)

* * *

* * *

جاء في القسم في الجزء ٣١٩ : «الحق أن الأدباء» بضم الحق وهي (الحق أن) بنصب الحق ونصب الحق على الظرف، والرقم وجه. وجاء «عليه إذا عد الحصى يتحلف» وهي (يتحلف) أي يتحالف الأقوام عليه، تجتمع عليه حلفاء وجاء في الجزء ٣٢٠ : والفرزدق خمسة وعشرون قصيدة والصواب خمس كما هو ظاهر .

(١) إبليس لم يصرف لأنه أعجمي معرفة. في تاريخ بغداد الجزء (١٣) الصفحة (٤٢٨) : « ما وضعه — يعني كتاب الحيل — إلا إبليس ، قال الذي وضعه عندي إبليس من إبليس » وقد أوردت هذا البناء (وإن لم تذكره كتب لغة) كلمة مولدة حسنة يحتاج إليها كثيراً .

(١) الشعري العبور

إذا اشتريت سيارة أخرى خلاف باكار ، تجازف بأنها تصبح « مودة قديمة » بعد بضعة أشهر .

لاتجازف - فان أكتوبر يقترب !

والموديلات الجديدة لجميع الماركات لن تلبث حتى تغزو شوارع القاهرة

إستعرض موديلات السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة لأية ماركة من ماركات السيارات خلاف باكار تر ما يدهشك ! ستجد من السير عليك أن تصدق بأن هذه الموديلات لسيارة واحدة !

ومن الذي يدفع من ثمن هذا الاندفاع الجنوني نحو التغيير والتبديل والمسخ إن لم يكن الزبون الطيب القلب الذي يضطر اضطرارا إلى اقتناء كل موديل جديد وإلا ظهر بمظهر غير عصري ؟!

والآن عليك أن تختار بين سيارة جديدة تقدم « مودتها » بعد ثلاثة أشهر وبين باكار التي تعد مثلا أعلى للمودة في كل عصر وفي كل أوان

مادمت تستطيع شراء سيارة

فانت تستطيع شـــــراء

باكار

القاهرة : ٢٨ شارع سليمان باشا الأسكندرية : ١٥ شارع فؤاد الأول بورسعيد : ١ شارع فؤاد الأول